وهب ان الحكومة لم تهتم بهذا الامر ولا قام من بين المعلمين من يهتم به فالآباء انفسهم يمكنهم ان يهتموا به فيجعلوا لكل ولد من اولادهم صندوقاً خاصاً به لخزن فيه كل بارة تصل الى يده . وفي آخر كل سنة او سنتين يفتحون الصندوق ويضعون ما فيه في البنك باسم الولد ولحسابه ويحولونه حتى يحب هذه الدراهم عند ما يحتاج اليها لكي يعتمد على نفسه ويشعر بشيء من الاستقلال اذ ليس الغرض من خزن هذه الدراهم ان يغتني الاولاد بها بل ان تربى فيهم ملكة الاقتصاد والتدبير وكراهة الاسراف والتبذير وما يتبعهما من الفوائد المضرة بالصحة الكاملة للصبيت

وكم من ولد خرب بيت ابيه باسرافه وسبب ذلك ابوهُ وامهُ اللذان كانا يسلمانه الدراهم لينفقها في ابتياع الحلوى وركوب الخيل ثم في التدخين والسكر والبطر لان طرق الاسراف تتبع بعضها بعضاً

فيا مَن يطلبون خير اولادهم وخير بلادهم لا تأسفوا على خراب دكاكين المربيات والحلويات ولا على خراب الفهاوي والحانات اذا كان خرابها ناتجاً من انتشار ملكة الاقتصاد بين اولادكم . وحبذا الوقت الذي نرى فيه بنوك الاقتصاد قائمة في كل مدرسة واسباب الاسراف والتبذير منفيَّة من كل بلد

فتاوي الحكماء في الخلود والفناء

للباحث ابن العصر بجانب ابي الهول واهرام مصر

اعتقاد الشعوب القديمة في المعاد والخلود

قال الباحث ثم استأنف الشيخ الكلام فقال واراني انكلامي لا يبلغ غايته من الوضوح والجلاء حتى آتيك بملخص اعتقاد القدماء في الخلود والفناء واخصُّ من القدماء المشارقة والمغاربة الذين بلغت آثار تمدنهم الينا واما الامم التي لم ترتفع عن الهمجية والخشونة فقد خفي عنا اعتقادها بطموس آثارها وانطفاء اخبارها . ولست ادري ما دليل الذين يدَّعون ان كل شعوب الارض من متمدنة ومتوحشة تعتقد بالمعاد والخلود اذ لا ثبت على ذلك بل ان ما علمناهُ في هذه الايام بعد البحث المستطيل بين معظم شعوب الارض والاستقراء الكثيرين الافراد والجماهير قد اثبت ضد تلك الدعوى وهو وجود قبائل متبدية لا تعرف معاداً ولا خلوداً (١)

(١) كبعض الزنوج في ما ذكرهُ برطن وقبيلة البنغوس في السودان على ما ذكرهُ شيفرت المتيم الآن بمصر وهنود خليج هدسن على قول هرن وقبائل اخرى غير هذه

على ان الشعوب المتمدنة كانت تعتقد بالمعاد قديمًا ولا تزال تعتقد به حديثًا. فاقدم آثار المصريين تدل على اعتقادهم بالمعاد والخلود. وكان عندهم ان الانحلال والفساد علة التركيب والايلاد وكل موجود حكمهُ البقاء فلا يصير الى الفناء. وما ظاهرهُ انهُ فني فانما تغيرت صورتهُ وتبدل شكلهُ فالفناء عرضٌ لصورة الشيء وليس للشيء نفسهِ. وان رُمت مني دليلاً واضحًا على اعتقادهم هذا فانظر الى آثارهم. ألا ترى ان التماثيل الكثيرة التي صنعت رؤوسها كرأس كلب صُنعت لانوبيس الذي كان في زعمهم قائدًا للارواح في انتقالها الى دار الآخرة. وان أُمتي الذي كثر ورودهُ في كتاباتهم كان في زعمهم المقرَّ الذي تذهب ارواح الناس اليهِ بعد موتهم. وان الصور التي تراها تارةً مثل فرس النهر وتارة مثل حيوان ذي راس خيالي متوسط بين فرس النهر والتمساح انما هي صور وُهِمَ انها امتي ملتزمة اي متفرس أُمتي حارس الديار السفلى. وانت خبير[٢] ان اوسيرس الاله الديان عندهم كان يجلس مع مشيريهِ الاثنين والاربعين ويدينون النفس بعد موت الجسد فاذا وجدوا صالحاتها اعظم من سيئاتها ارسلوها الى دار الابرار ومساكن الصالحين واذا وجدوا سيئاتها اعظم من صالحاتها سحبوها فادخلوها جثة حيوان دنس. فاما النفس الصالحة فتقيم ثلثة آلاف سنة مع اوسيرس ثم تعود فتلبس جسدها وتعيش على الارض زمانًا ثم يموت الجسد وتحاكم في مجلس اوسيرس ومشيريهِ ثانيةً. وهكذا المرة بعد المرة حتى تبلغ غاية الطهارة والقداسة فتضمَّ الى الجوهر الالهي الذي انبثقت منهُ فان المصريين كانوا يعتقدون ان كل نفوس البشر منبثقة من الجوهر الالهي. واما النفس الصالحة فلا تزال تقمص من حيوان الى حيوان عقابًا لها حتى تطهر على توالي التقمص ومرّ الازمان. ومتى طهرت تعامل معاملة النفوس الصالحة. فان لم تطهر تعدم من الوجود وهذا ما ينال عن اعتقاد المصريين في المعاد والخلود

والعبرانيون اعتقادهم في المعاد والخلود مشهور. والذي أراهُ ان التوراة لم تظهر اعتقادهم هذا الا في اسفارها المتأخرة فان من يطالع اسفار موسى وغيرها من الاسفار القديمة لا يجد فيها كلامًا صريحًا على المعاد والخلود وجلُّ ما هنالك آيات توافق المعاد والآخرة وذهاب الموتى الى الهاوية حيث تجتمع اخيلتهم في مكان مظلم

ولما تمت امة اليهود وطال زمانها ورد في كتابة انبيائها وكتَّابها نصوص صريحة عن البعث والقيامة «وكثيرون للملاك لدانيال» اما انت فاذهب الى النهاية فستريح وتقوم لقرعتك في نهاية الايام[٣] بعد قولهِ «وكثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون هؤلاء الى الحياة الابدية

(٢) قد فصَّل ذلك وجه ٦٠٥ من السنة السابقة من المقتطف ووجه ٨٦ من السنة العاشرة فراجعهُ هناك

(٣) انظر سفر دانيال ص ١٢ ع ١٣

وهؤلاء الى العار والازدراء"[٤] ومثل ذلك في الوضوح ما جاء بعدهُ في اسفارهم المعروفة (بالابوكريفا) حيث امر الملك انطيوخوس الطاغية بقتل سبعة اخوة فاجاب احدهم وقال "اذا قتلنا البشر سرّنا الامل بالله انهُ يقيمنا من الموت واما انت فلا تقام للحياة[٥]". واوضح من هذا وذاك ما جاء في الانجيل من ان الفريسيين يقولون بوجود البعث والقيامة والملائكة والارواح والصدوقيين يقولون بعدم وجودها[٦]. وما جاء في يوسيفوس مؤرخهم المشهور وهو ان الفريسيين يقولون بان الارواح لا تفنى ولكن ارواح الصالحين تنقل الى اجسام أخرى وارواح الطالحين تعاقب عقابًا ابديًا[٧]. والصدوقيون لا يؤمنون بخلود الارواح ولا بالثواب ولا العقاب

والاشوريون والبابليون كانوا يعتقدون بالآخرة والثواب والعقاب وان نفوس الابرار تلبس حللاً بيضًا وتسكن في مساكن الآلهة وتاكل الطعام السماوي ونفوس الاشرار تحدر الى الهاوية مقر الظلمة والجوع حيث تاكل التراب والطين ولا ترى الضوء. غير ان امر البعث والخلود لم يكن واضحًا جليًا عندهم كما كان عند المصريين في زمانهم

واليونان والرومان كانوا يعتقدون بالمعاد والخلود اعتقادًا شبيهًا باعتقاد المصريين على ما يظهر من خرافاتهم ولا يبعد ان يكونوا قد اخذوا اكثر اعتقادهم هذا . فقد كانوا يعتقدون بمحل يجتمع فيهِ الابرار بعد موتهم ويسمونهُ بلسانهم (أليسيوم) ومحل يجتمع فيهِ الاشرار ويسمونهُ (طرطرس) على ان تخيلهم لهذين المكانين كان على غاية السذاجة وعلى درجة لا تقل من السخافة كما يظهر لك من قول شاعرهم أومرس المحدود واضعًا لديهم وثنةً في تقرير ايمانهم. فقد قال بلسان بطل اليونان اكلس حين دخوله بين الاخيلة في نعيمهم (الاليسيوم) "ان حياة احقر مخلوق على الارض لخيرٌ من اجساد (الاليسيوم) كلها" والليب بعلم ان مثل هذا التعليم لا يحجم الناس عن الرذائل ولا يسوقهم الى الفضائل لانهُ ان لم يكن نعيم الآخرة خيرًا من لذات الدنيا فالعاقل من يتعلق بلذات الدنيا ويشي امر الآخرة . ولا عجب بعد ذلك ان رأيت اليونان ينبذون تعليم كهانهم هذا اظهريًا ويتمسكون بتعاليم فلاسفتهم الذين كانوا يعلمون بمعاد الاجساد الا انهم لم يكونوا يعتقدون ببعث الاجساد على ما هو مفهوم عندنا بل ان النفوس تتقمص وتتناسخ . ويظهر ان اول من علم ذلك بين اليونان هو فيثاغورس الشهير وتعلمهُ بالتقمص غير مفصل فلاسيل لنا الى معرفة كيفية التقمص في زعمهِ . واشهر الذين علموا مثل هذا التعليم افلاطون وبين تعليمهِ وتعليم المصريين القدماء المتقدم ذكرهُ تشابهٌ عظيم. قال في بعض كتاباتهِ ما معناهُ — "اذا عاش

(٤) دانيال ص ٢ ع ٣
(٥) انظر سفر المكابيين الثاني ص ٧ ع ١٤
(٦) انظر سفر الاعمال ص ٢٣ ع ٨
(٧) انظر المجلد الثاني من كتاب حروب اليهود ص ٨ ع ١٤

الانسان في سبيل الفضيلة حسنت عاقبتهُ في الآخرة والأساءت . غير ان النفوس لاتعود الى حالها الاصلية (٨) الاَّ بعد عشرة آلاف سنة اذ لا تسترد جناحيها الاَّ في ذلك الحين . ما لم تكن النفس نفس انسان قد اخلص في الفلسفة او احبَّ مع الفلسفة الاشكال الجميلة فانهُ اذا عاش هذه العيشة ثلاث مرات متواليات في ثلثة آلاف سنة طارت نفسهُ الى مقرها الذي هبطت منهُ . واما النفوس الأخرى فانها متى انتهت حياتها الاولى تدان فتذهب نفوس منها الى محل تحت الارض لتنال ما استحقت من العقاب وتذهب نفوسٌ غيرها الى محل سماوي لانها عاشت عيشةً ابرَّ من عيشة تلك وتعيش في هذا المحل السماوي عيشة ملائمة لعيشتها على الارض حتى يمرَّ الف سنة . ثم ترجع كل هذه النفوس التي دينت الى الارض و يباح لها ان تعيش حسب مشتهاها . وحينئذٍ تمنح نفس الانسان فتدخل جسد الحيوان ومن جسد الحيوان الى جسد الانسان اذا كان اصلها نفس الانسان لان النفس التي لم تدرك الحق لن تدخل جسد الانسان" . انتهى

وانت تعلم ان افلاطون هذا فيلسوف كبير لا يزال معدودًا في مقدمة الكتبة والفلاسفة . على ان الاقوال انما تثبت بصحتها وتسقط بفسادها لا بعظمة من قالها او بهوانهِ . ولهذا لم يطل استحواذ قول افلاطون على عقول الناس لما فيهِ من الخرافات والاوهام بل لايبعد انهُ هو الذي ادّى الى قيام طائفة تنكر المعاد وتنفي الخلود كأبيكوروس البوناني الذي ذهب الى ان آلمة كل ما في العالم ذرات مستكملة الغبطة والسرور لا يهمها شأن ولا دخل لها في اعمال احد من الناس . ولقريطيوس الشاعر الروماني الذي ذهب مذهب ابيكوروس بالذرات وان النفس تفنى بفناء الجسد فلا يبقى للمرء اثرٌ بعد موتهِ ولا عين ولذلك لايخاف الموت الاَّ الاحمق ولا يبالي بما وراءهُ غير الجاهل

وليس غرضي ان استوفي لك الكلام عن اعتقاد اليونان والرومان في المعاد والخلود والفناء فانهُ مفصل في كتب القوم فعليك يا اذا رمتَ التطويل فيهِ . وحسبي ان اطلعك على ما تبين لي بعد الوقوف على اقوالهم وهو انها كثيرة المضاربة والمناقضة حتى لقد ينقض الواحد منهم في مقالة قولاً اقرَّهُ في مقالةٍ قبلها كأنهم على غير ثقةٍ مما يقولون او على غير هدًى في ما يقصدون وكأنهم يريدون بناء عامَّة الناس على اعتقادهم الساذج وهم انفسهم لاتطاوعهم عقولهم على ذلك الاعتقاد فدوَّنوا ما جادت بهِ عقولهم تحت طيّ الجلاء تارةً وطيّ الخفاء طورًا كمن يريد بيانهُ وكتمانهُ معًا

(٨) هذا القول مبنيٌّ على رأي افلاطون وهو ان النفوس وُجدت قبل الاجساد وان دخول النفس في الجسد عقاب لها كما يعاقب الانسان بدخول السجن . ويرتفع هذا العقاب عنها متى انقطعت علاقتها بالجسد وعادت الى مقرها الاصلي الذي هبطت منهُ

هذا واذا تجاوزت الى اهل الشرق الاقصى وجدت انهم كانوا يعتقدون بالمعاد والخلود كما ثبت في هذه الايام بأوضح بيان . فان علماء الافرنج توصلوا الى كتبهم وتعلموا قراءتها وعرفوا دخائلها واسرارها وترجموها الى لغاتهم ككتاب (الرك ڤيدا) اقدم كتب البراهمة ومستودع عقائدهم . فقد تبين منه ان البراهمة لم يكونوا اصلاً يعتقدون بالتناسخ وتقمص ارواح البشر الى الحيوانات البكماء خلافاً لما هو شائع من ان التقمص من جملة الامور التي امتاز بها دين الهنود عما سواهُ . بل كانوا يعتقدون بخلود الانسان بعد موته كما يستفاد من آيات في ذلك الكتاب اوردت لك بعضها . فمنها "من يتصدق يذهب الى عليين في السماء يذهب الى الآلهة" وايضاً في صلاة لالههم (صوما) "ضعني ايها الاله (صوما) حيث الضوء دائم والشمس دائمة في العالم الخالد الذي لا يفنى". وايضاً — "اجعلني خالداً . . . في السماء حيث المياه التدبرة" وايضاً — "اجعلني خالداً حيث الغبطة والسرور حيث تختفي امانينا وتنال مشتهاتنا" وقد ذكروا ان في ذلك الكتاب آيات تشير الى محل يعاقب فيه الاشرار ولكن الاشارة غير واضحة

ولم يطل الزمان على دين البراهمة حتى تطرق اليه الفساد وشائبة العيوب فصار الشرك بالله وعبادة الاوثان من دأب المتدينين به ونال نير الكهان على اعناق العامة فقام من يصلحه من فساده شأن كل دين تقيّ دبّ اليه الفساد والذين اهتموا باصلاحه انسان الواحد اصلح جوهرهُ والثاني اصلح اعراضهُ كشعائره ورسومه والاول هو زروستر او زردشت الفارسي والثاني هو الامير بوذه الهندي

فاما زروستر واتباعهُ الفرس واعتقادهم مدوّن في كتابهم الشهير المعروف بالزند فستا او الاوستا وزند ومنه يؤخذ انهم كانوا يعتقدون بالمعاد والجزاء فقد ورد فيه "ان الواشي بالشر (اعني ابليس) لا يفني الحياة الثانية" وورد في كتاب تعليم لهم منسوق نسق السؤال والجواب ما يأتي

سؤال من تؤمن نحن جماعة زردشت

جواب اننا نؤمن بالهٍ واحدٍ ولا نؤمن باحد سواهُ

سؤال ألا تؤمن بالهٍ آخر

جواب كل من يؤمن بالهٍ آخر فانهُ كافر وسيعاقب في جهنم

وورد في فقرة أخرى من هذا الكتاب ان كلاً ينال في العالم الآتي حسبما فعل في هذا العالم وهذه دلائل واضحة على اعتقاد زردشت وجماعتهِ بمعاد وثواب وعقاب

واما بوذه ومعناهُ المستنير فربما سمّي بهذا الاسم لصلاح سيرته ونقاوة تعاليمه وهو امير ولد

قبل الميلاد بنحو ٥٠٠ سنة وتعلّم عند اشهر البراهمة واعلمهم ولمّا رأى جورهم وتغلّب وطأتهم على الناس وتسكعهم بالاعراض من زهدٍ وتقشفٍ وتخليهم عن الجواهر من صلاحٍ وتقى أبى مجاراتهم وحكم ان زهدهم وتقشفهم وتعاليمهم لا تنجي الناس من اتعاب هذه الحياة ولا من مخاوف الموت . ثم اتصل من حكمهِ هذا الى حكم آخر وهو ان كل ما يراهُ غرورٌ باطل وان راس الحكمة معرفة ذلك والرغبة في الدخول الى (نِرْوَانا) بمعنى ان الرغبة في ان ينطفئ كما ينطفئ اللّهب . والذي يتبادر الى الذهن من تعليم بوذه هذا انهُ كان يحسب الفناء غاية المنى كما هو ظاهر المراد من قولهِ . على ان أمم تلك الازمان كانت تعدُّ المادّة اصل الشرور ومصدرها وتحسب ان الغبطة والسرور هما تخلص النفس من المادّة وعليهِ فيكون المقصود بالدخول الى (نروانا) تخلص النفس من عبء الجسد لتحظى بتمام الغبطة والطهارة . ولبوذه تعاليم ادبية من اسمى التعاليم الموجودة حتى لقد احتار في امرها غير واحدٍ من علماء هذه الايام ولم يدروا كيف اتصل البشر الى وضع مثلها في غاية السمو والطهارة والكمال دون وحيٍ ولا الهام . وعلى توالي الازمان صار بوذه يُعبَد بين قومهِ كما يُعبَد الاله وصار المراد من (نروانا) حالةً يستريح صاحبها من الاتعاب والاوصاب

فهذه خلاصة اعتقاد الشعوب التي سمت وارتقت في غابر الايام اتيتك بها على غاية الاختصار تدرُّجاً الى مباحث شاوحها . وانما امسكت الكلام عن اعتقاد المسيحيين والمسلمين لانهُ معروف عندك ولقد فارت حميتي من مشقّة الكلام فاثرت وافكاري من طول شقّة البحث حائرة فاعملني ربما اجدّد قواي الحائرة واجمع افكاري الى نقطة الدائرة

المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المنتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة الوصول الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

اعتراض على حل المسالة الفرضيّة

حضرة منشئي المنتطف الفاضلين

لقد اطلعتُ في الجزء السابع وجه ٤٢٩ من منتطفكم الاغرّ على الحل الثاني للمسألة